وقد تفيد التربية الحسنة الانسان والحيوان فتفنى فيهما بعض السيئات اذا اخذ كل من الانسان والحيوان فى حداثة سنه وقد لاتفيد ابداً بل وربما احدثت فيه انتكاساً او ارتكاساً [١]

وهذا ما انتبه اليه او الى مثله قدماء العرب

ومن هذا القبيل ما يحكى ان اعرابياً ربى بالباديه ذئباً فلما شب افترس سخلة له . فقال الاعرابى :

فرست شويهتى وجئت طفلا . ونسواناً وانت لهم ربيب

نشأت مع السخال وانت طفل . فما ادراك ان اباك ذيب

اذا كان الطباع طباع سوء . فليس بمصلح طبعاً اديب

وقال غيره :

وانت تجرو الذئب ليس بآنف . ابى الذئب الا ان يخون ويظلما

وهذا الكلام يصدق على كثيرين ممن ربوا تربية صالحة فلما شبوا دبت اليهم عقارب خصالهم الرديئة فلسعت آدابهم فاوردتهم حياض الموت . فاصبحوا فى ديارهم جاثمين . ولآخرتهم خاسرين . بعد ان كانوا فى دنياهم من الحاسبين .

﴿ المتكهفة والمكتهفة او المتفقة ﴾

Les Troglodytes

للافرنج لفظة يونانية الاصل منحوتة من كلمتين من نفس تلك

[١] نريد بالانتكاس او الارتكاس : ما يسميه الغير برد الفعل RÉACTION فقال الفنويون : ركس الشيء : رده مقلوباً وقلب اوله على آخره وارتكس مطاوع ركس . ومثله انتكس

اللغة وهما « تروغلى » اى النفق اوالكهف . و « دوين » اى دخل فنشأت من تركيبهما لفظة « تروغلوديت » اى « داخل الكهف او داخل النفق » وقد زعم بعض كتاب العرب ممن يرمى اللغة بالعجز والقصور والشيخوخة ان لا مرادف لهذا الحرف اليونانى فى العربى وكل من تكلم من العرب عن الاقوام الذين يأوون الى الكهوف او الانفاق اوالمغاور لم يذكروهم الا باسم « تروغلوديت اوتروغلوديته » ولو انصفوا لوجدوا فى العربية غير لفظة . من ذلك : المتكهفة والمكتهفة .

فالمكتهفة . من اكتهف اى لزم الكهف . ومثله : تكهف والكهف كالغار الاانه اكبر منه .

والمتقفقة . وقد مر الكلام عنها وعن صحة استعمالها بهذا المعنى وانطباقها اشد الانطباق على اللفظة اليونانية كانها قدت من اديم واحد .

واذ قد اثبتنا صحة مقابلة هذه الكلمة لكلمتهم نقول :

قد قرر الباحثون اصحاب القدم الراسخة فى العلم ان اول سكنى البشر كان الكهوف والمغاور والانفاق على حد مايفعله بعض الحيوان الى عهدنا هذا . ثم ارتقى الانسان شيئا فشيئاً فى سلم الحضارة حتى ابتنى الدور العامرة وشيد القصور الفاخرة . الا ان هناك اقواماً بقوا على حالتهم الوحشية وهمجيتهم الدنيئة ومن حواليهم اناس متحضرون يهزأون من اخوانهم المتأخرين وجيرانهم الجامدين بل الهامدين .

وممن اشتهر بهذه الحالة اقوام كانوا فى اقطار بلاد الحبشة وصعيد مصر وسواحل البحر الاحمر وميسية وموريطانية (بلاد الغرب) بل واناس منهم كانوا فى الصقع الشمالى من جبل قاف (قوقاس) الا ان البلاد التى اشتهرت ببلاد المكتهفة كانت تبتدئ من بلدة برنيقة Bérénice الى مالا حد له من فلوات افريقية وانت تمن فيها . وقال بعضهم بان الذين اشتهروا بالمكتهفة هم سكان الجهة الشرقية من افريقية على طول الخليج العربى المعروف ايضا باسم ساحل الحبش . وذهب فريق الى ان المشتهرين بالمكتهفة هم سكان مصر الجنوبية والحبشة حيث توجد مقاطعة واسعة تعرف باسمهم . وفى صقع من بلاد العرب جبال متكهفة (فيها كهوف) تأوى اليها الى عهدنا هذا قبائل من البادية تكاد تكون متوحشة وتوشك ديارهم ان تكون محاذية لربوع اولئك الاقوام الموجودين فى افريقية او الذين وجدوا فيها

واغلب مساكن هذه الاجيال هى كهوف منها ماحفرتها ايدى الطبيعة ومنها مانحتها ابن آدم . واغلب ما تكون هذه المغاور فى الجبال والاودية التى قوامها الجص اوالكلس واكثر هذه الجبال واقعة على شواطئ البحر الاحمر من جهة بلاد الحبشة وهى غير ذاهبة فى السماء بل متوسطة الارتفاع .

واسم المكتهفة لفظ عام يشمل اقواماً شتى تأوى كلها الى هذه المغاور فمنها طائفة كانت قد اوغلت فى داخل البلاد وكانت تطارد النعامة والفيل . ومنها طائفة كانت تقيم على ضفاف البحر الاحمر وطعامها

السمك وجذور الأنبتة . ولهذا سماهم اليونان بما معناه : « اكلة النعام » و « اكلة الحية » و « اكلة السمك » و « أكلة الرز » الى ماضاهى وصارع هذه الالقاب وكلها دون هذه شبعاً وتحقيقاً .

وكان لكثير من ديار المكتهفة اصورة (قطعان بقر) واسراب معز . وهذه الاموال كانت شر نيران الشرور فى الصدور بل قل كانت تسعر نيران حروب لاتعرف الفتور وان مرت عليها طوال الدهور بيد انها كانت تخمد بعض الاحايين على طاب النساء والحاجهن .

ومن شعائرهم الغريبة انهم كانوا اذا ارادوا دفن موتاهم يربطون رأس الميت برجليه ثم يقلبون جثته وهى على هذه الهيئة الى هضبة وهناك يجتمع الجم الغفير من اقاربه واصدقائه وانسبائه فارحين ضاحكين . ثم يلقون عليه الحجارة الى ان يواروه عن الابصار .

ومن نوادر الاتفاق انه وجد فى بلاد اسكندينافية (اسوج وروج) قبور عادية فيها جثث اموات هامدة موضوعة على الصورة المذكورة تحت ركام من الحجارة . الا ان هذه الحجارة مصفوفة صفا فيه شئ من النظام والاتقان .

فانظر ياهذا كيف تتلاقى الشعائر الغريبة بين اقوام واقوام وان شط بهم المزار وترامت بهم الديار وتلاعبت بهم الاقدار .

﴿ المعنى الثانى للمكتهفة ﴾

وقد جاءت هذه اللفظة عندهم للدلالة على فرقة نصرانية كانت فى صدرها وهم قوم من المبتدعة دفعتهم جميع الفرق من بين ظهرانيها